ردود فعل خطيرة فيه، وذلك من خلال تهدئته الخواطر العربية، دون ان ينسى الايحاء الى الدول العربية، بطريقة أو بأخرى، ان ما يقوم به يتخطى الدفاع عن نظام حكمه الى الدفاع عن الدول العربية «ورد الفلسطينيين الى بيت الطاعة العربي».

ولكن، اذا كانت نقطة القوة الاساسية في استراتيجية الهجوم التي اعتمدها الاردن هي في الانسجام بين الاهداف السياسية والوسائل العملانية، وتوفر غطاء من الدعم الاقليمي (اسرائيل) والدولي لها، فان نقطة الضعف في استعداد المنظمة لاحباط المخطط الاردني، كانت تكمن، أساساً، في غياب تبلور اتفاق سياسي فيما بين التيارات داخل حركة المقاومة حول بدائل عملية وسياسية لخوض الصراع. وربما كان واحداً من الاسباب التي ادت الى ذلك، يكمن في الانشطار الذي احدثته هزيمة ١٩٦٧ على بنية الفكر السياسي الفلسطيني، بصدد صوغ العلاقة الفلسطينية ـ العربية.

لقد اسهمت هزيمة ١٩٦٧ في احداث عملية تحوّل مزدوجة ومتناقضة في آن في بنية الفكر السياسي الفلسطيني؛ فتحت تأثير الهزيمة الصاعقة التي منيت بها الدول العربية، وتصاعد نفوذ تيار العنف الثوري اليساري في العالم، وبالذات في العالم الثالث، اندفع بعض الحركات السياسية الفلسطينية الى احداث قفزة ايديولوجية[٢٦]، انتقل بها من اطار تبنّي ايديولوجيا قومية عروبية، ذات تلاوين اشتراكية «طوباوية»، الى تبني ايديولوجيا الماركسية اللينينية، مطعّمة بتلاوين جنوب شرق آسيوية، ماوية وغيفارية، رومانسية. وقد نظرت هذه الحركات الى ما حدث في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ على انه هزيمة للانظمة البرجوازية الصغيرة. واستخلصت من ذلك مقاربة سياسية تدعو الى تحطيم ركائز هذه الانظمة، واقامة سلطة العمال والفلاحين بدلاً منها، بدعوى انه بدون تحقيق هذه المهمة لايمكن ـ حسب اعتقادها ـ القيام بتحرير فلسطين، وتأمين استمرار حرب التحرير الشعبية. والواقع، ان هذا هو المغزى الوحيد الذي يمكن استخلاصه من الشعارات التي طرحت بعد العام ١٩٦٧، والتي دعت الى تحويل عمان الى «هانوي»، والى المقاربة السياسية التي رأت ان الطريق الى فلسطين تمرّ من عمان، أو من بيروت فيما بعد.

ان المفارقة في اللغة السياسية ظهرت، مرة أخرى، ولكن بصورة مختلفة. فشعار تحرير فلسطين الذي ارتبط، في سياق المقاربة الناصرية، بتحقيق الوحدة، بات مرهوناً لتحقيقه، في المقاربة اليسارية الفلسطينية، بهدم سلطة «البرجوازية العربية الصغيرة» ! أي بتحقيق الاشتراكية. لكن البحث في ملابسات هذه الاشكالية ليس في وارد اهتمامنا الآن. بيد انه اذا كان شعار «كل السلطة للمقاومة» الذي لوّح به بعض الفئات اليسارية الفلسطينية في عمان يعكس مقدار التغير الذي أصاب التفكير السياسي لهذه الفئات، التي كانت، في السابق، تتبنى مقاربة أكثر محافظة؛ فان ذلك لا يظهر سوى ملابسات هذا الانتقال ذاته، الذي تم بصورة قسرية، استجابة لعوامل ومؤثرات خارجية، اكثر من كونه تأكيداً لسياق من التطور التلقائي، الطبيعي، وهذا ما ظهرت آثاره، بصورة جلية، في صيف العام ١٩٧٠، مع أزمة الطائرات المخطوفة، أي باستسهال هذه الفئات التحول الى ممارسة هذا النوع من العمليات، بدلاً من النشاط الخلاق، والمبدع، وابتكار اساليب ووسائل اكثر ملاءمة واصالة، على غرار النموذج الفيتنامي الذي تستلهمه هذه النخبة.

وفي موازاة هذه النقلة الحادة نحو الرومانسية الثورية، المتطرفة، بدا ان هناك، أيضاً، نقلة لا تقل اهمية، ولكن بصورة معاكسة؛ حيث خاض التيار الاكثر راديكالية في السابق تجربة مماثلة، ولكن هذه المرة، نحو الاعتدال والواقعية. وهذا ما ظهر، بصورة جلية، ليس في رفض «فتح» وتذمرها